محاضرة

تيسير علم مصطلح الحديث

الجزء الأوّل

لفضيلة الشيخ

محمّد سعيد رسلان

تاريخ التصدير: 21-٠٦-٢٠٠٩

بسم الله الرّحمان الرّحيم

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم

أما بعد

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله و خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه و على آله وسلم و شر الأمور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار

أما بعد

فالذي ينظر في كتاب الله تبارك و تعالى و في صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يجد أن الضوابط التي استخلصها العلماء بعد ذلك من كتاب الله و من سنّة رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم لضبط قواعد الرواية و نقل الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و من أجل التثبّت من صحة الأخبار و من تزييف زيفها و نفي دخيلها عنها نجد أن ذلك واضح غاية الوضوح في كتاب الله و في سنة رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم

فالأركان و الأسس الرئيسة الأساسية لعلم الرواية و نقل الأخبار موجودة في الكتاب العزيز و في سنة الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم

الله تبارك وتعالى في القرآن العزيز يقول لنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] فأمرنا الله رب العالمين بالتبيّن في الأخبار و عند نقلها و عند روايتها فعلى الإنسان أن يتحرى عند النقل و عند السماع و أن يستوثق من الخبر قبل أن يبني عليه حكما، بهذا أمر الله رب العالمين في هذه الآية المكرّمة و جاء في السنّة النبوية المطهّرة عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم قوله:" نظّر الله امْرَءًا" يعني يدعو له النبي صلى الله عليه و على آله و سلم بالنضرة و هي البهاء و الحسن و النور في الوجه و لذلك تجد المحدّثين أكثر الناس حظّا

من هذا الدعاء النبوي الشريف لأنّ النبي صلى الله عليه و على آله و سلم يقول:" نظّر الله امْرَءًا سمع منّا شيئا فبلّغه كما سمعه فرب مُبلّغٍ أَوعَى من سامع " يقول النبي صلى الله عليه و على آله سلم: " سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه"، "فبلّغه كما سمعه" الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم يشترط عند البلاغ و عند نقل الخبر أن تنقل الخبر كما سمعته فيقول رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فبلّغه كما سمعه فرُبَّ مُبَلَّغٍ يعني يصل إليه الخبر الذي تبلّغه إياه أوعى أفهم و أحفظ و أنقى عقلا و فكرا من سامع يعني من الذي يسمع الحديث و يكتفي بحفظه و روايته فهو ينقله بعد ذلك إلى من يستطيع أن يستنبط منه الأخبار و الأحكام التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم وفي رواية" فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه وربّ حامل فقه ليس بفقيه " ربّ حامل فقه يحفظ الأحكام و ليس بفقيه النفس و ليس بفقيه العقل يقول الرسول صلى الله عليه و سلم:"و ربّ حامل فقه ليس بفقيه " إذا الحاصل أن الكتاب و السنّة قد دلاّ جميعا على وجوب التثبّت عند نقل الأخبار و هذا ما أخذ به العلماء بعد ذلك عندما وضعوا قوانين تضبط الرّوايات و تحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم أن يختلط بها غيرها و بخاصّة أن الفترة الأولى التي عاصر فيها الصّحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كانت في جملتها بعيدة عن التدوين الكامل لسنّة رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم، صحيح كان هناك تدوين للسنّة فالصحيفة الصادقة لعبد الله ابن عمر ابن العاص رضي الله عنهما و مثل ما كان يصنعه بعض الأصحاب رضوان الله عليهم عندما كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و قد أذن هو بذلك عندما قالت قريش لعبد الله ابن عمر ابن العاص: إنك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم كل شيء يقوله و رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم بشر يرضى و يغضب فذهب عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما إلى النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم فأخبره بما قالت قريش فقال له النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم و أشار بأصبعه إلى فيه فقال:"أكتب أكتب يا ابن عمر فوالذّي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق" صلى الله عليه و على آله و سلم. الفترة الأولى قبل مرحلة التدوين كانت فترة شَفَاهِيّة كانت

فترة تعتمد بقدر الله تبارك و تعالى على الذّاكرة وأنت تعلم أن الذّواكر عند العرب في تلك الفترة كانت قويّة جدّا لأن الله تبارك و تعالى هيّأهم لتحمّل دينه و من أجل أن يحفظوا كتابه و سنّة نبيّه صلى الله عليه و على آله و سلم أعدّهم إعدادا خاصّا بحيث كانوا لا يسمعون شيئا فيتفلّت منهم محفوظه أبدا في النادر أن يتفلّت المحفوظ من واحد منهم و لكن في جملتهم، حتى في الجاهليّة كان العرب كذلك كان الواحد منهم يسمع في موسم من مواسم العرب يسمع خطبة طويلة من خطب أولئك الخطباء المشهورين في موسم كعكاض و في سوق كذي المجنّة أو غير ذلك من الأسواق التي كانت تعقبها العرب يحفظ خطبة طويلة يسمعها لمرة واحدة فترتسم منقوشة على صفحة عقله و فكره و قلبه فهل تضنّ أنّ أولئك الذين كان الواحد يسمع قصيدة يرتجلها شاعر كعمر ابن كلثوم و هو يقف بين يدي الملك يُنشد تلك القصيدة المعلّقة الطويلة الرائعة ينشدها مرتجلا إيّاها يعتمد على رمحه و من شدّة انفعاله يضغط على الرمح حتى نفذ من يده يتفجر الدم منها و هو لا يحسّ و لا يشعر حتى فرغ من تلك القصيدة هل تضنّ أنهم كانوا يحفظون هذا الشعر الجاهليّ على ما فيه و لا يحفظون كلام رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم على عظم ما فيه و روعة ما فيه؟ هذا لا يعقل.

إذا في الفترة الأولى التي كانت مبنيّة على الذّاكرة قدّر الله رب العالمين لرسوله صلى الله عليه و على آله و سلم من كان يتتبع أقواله صلى الله عليه و على آله و سلم تتبعا كاملا يحفظ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم بمعونة من الله ربّ العالمين فأبو هريرة وكان كما تعلم رضوان الله عليه من اليمن هاجر إلى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم في المدينة النبوية و مكث مع الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم ثلاثة أعوام لا تزيد و مع ذلك أبو هريرة أكثر الأصحاب رواية عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم كان فقيرا من أهل الصفّة لا يملك شيئا فكان يمضّي وقته في الصفّة في آخر المسجد النبويّ و فيها ينزل الأغراب و ينزل أولئك الذين لا يملكون قوت يومهم بل لا يملكون إلا ما يواري عوراتهم فكانوا يجلسون في تلك الصفّة فكان منهم أبو هريرة رضوان الله عليه يقول كنت أصحب النبي صلى الله عليه و على آله و سلم على ملء بطني فكان يتبع

الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم في الثلاثة أعوام التي مع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم إلى أن توفّى الله نبيه صلى الله عليه و سلم على ملء بطنه ليس له في الدنيا قطّ حتى إنه كان يأخذه الجوع أحيانا فيصرع بجوار أصل منبر رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يقول الناس جُنَّ أبو هريرة يقول و ما بي من جنون ما بي إلا الجوع رضوان الله عليه يقول وكنت أسير مع الرجل أستقرأه الآية من كتاب الله و هي معي و هي معي رجاء أن يمر بي على بيته فيدعوني فأدخل و هي معي يقول أنا أستقرأ الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم الآية وهي معي أحفظها و لكن أقول له تحفظ آية كذا فيقول نعم فيقول رددها عليّ حتى آخذها منك و أحملها عنك و يمشي معه لعله أن ينقلب معه إلى بيته فيُطعمه لا يجد شيئا و ضلّ مع النبي صلى الله عليه و سلم، شكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بدأ الأمر أنه يتفلّت منه محفوظه، اعلم أنّ العلم منحة و هبة من الله و أن الإنسان ما عليه في طريق العلم إلاّ أن يطهّر قلبه و أن يعرّض للرحمة ذاته وأما أن تُعطى أو لا تُعطى فهذا عطاء ربك و لا حرج على عطائه يعطي من يشاء و يحرم من يشاء و هو العليم الخبير فقال للنبي صلى الله عليه و سلم يتفلت مني العلم ولا أستطيع أن أحفظ من كلامك إلا النذر اليسير فقال له النبي صلى الله عليه و سلم أبسط رداءك فبسط رداءه على الأرض قال اقبضه إليك فقبض الرداء إليه قال فلم أنس بعد ذلك شيئا رضوان الله عليه فالمهم أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم في سنّته الشريفة هذا المبدأ و هو مبدأ التثبّت في أخذ الأخبار و كذلك في سنّة رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم قواعد وكيفيات ضبط السنّة و ضبط الخبر عند نقله و هذا أمر مهم جدا و ما آفة الأخبار إلاّ رُوّاتها و هذا علم خصّنا الله ربّ العالمين به ليس لأحد في الدنيا كلها مثل هذا العلم ليس إلاّ لنا وحدنا نحن المسلمين خصّنا الله رب العالمين بعلم الإسناد فالإسناد خِصِّيصَةٌ من خصائص أمّة محمد صلى الله عليه و على آله و سلّم و أما أهل الديانات السّابقة وأما الأقوام من غير أمّة محمد صلى الله عليه و سلم فحتى كتبهم المقدسة ليس لها إسناد متصل بأنبيائهم و إنما بين أنبيائهم في سلسلة الإسناد و بين

الكتب التي يزعمون أنّ أنبيائهم قد جاءوا بها، بين الأنبياء و الكتب مَفَاوِزْ تتقطع فيها أعناق الإبل.

و أما نحن فنحن وحدنا بفضل الله رب العالمين خصّنا ربنا تبارك و تعالى بالإسناد و ليس لأحد في الدنيا كلها إسناد أعلى من إسنادنا لأنّ إسنادنا يتصل بربّ العزّة جلّ و على فالذي يحمل القرآن عن شيخ و شيخه له سلسلة يحمله عن شيخ فمشايخي و مشائخي كتاتيب القدامى كانوا يحملون عن شيوخهم بإسناد متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزّة فإذا حملت القرآن عن شيخ له إسناد متصل فسندك موصول بربّ العزّة فمن في الدنيا كلها له إسناد متصل بربّ العزّة إلا أمّة محمد ؟ صلى الله عليه و على آله و سلم فخصّنا الله ربّ العالمين بهذه القواعد وهي قواعد في جملتها عقلية يعني هذه القواعد التي تحكم و تضبط المرويّاة و تحكم نقل الأخبار من الأجيال إلى الأجيال و من الرُّوَاة إلى الرُّوَاة لو عرضتها على العقل فهي منضبطة بالمنطق و بالعقل لا تخرج عن المنطق و لا على العقل قيد شعرة و لا مقدار أنملة و هذا من فضل الله ربّ العالمين.

و امتثالا لأمر الله جلّ وعلى في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] و امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الصّحابة يتثبّتون في نقل الأخبار و قَبُولِها حتى عمر رضوان الله عليه كان يتثبّت في نقل الأخبار من الأصحاب الذين لا مغمز فيهم و لا يستطيع أحد أن يزعم أنّ واحدا منهم يمكن أن يزيد ولو حرفا واحدا على رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فعندما جاء إليه أبو موسى الأشعري يستأذن عليه فاستأذن مرّة ومرّة و مرّة فلما لم يجب عمر انطلق أبو موسى رضوان الله عليه فخرج عمر فدعاه فقال ما حملك على أن مضيت؟ قال استأذنت ثلاثا فلم تجب و الإستأذان ثلاث كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقول كما قال رسول الله إذا هذا ترفعه إلى النبي يعني أنت الآن تسند هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و الله لتأتينّي بشاهد يشهد على هذا الكلام أنّه قاله رسول الله و إلاّ لأوجعنّ ظهرك ضربا و مضى أبو موسى كئيبا ليس في وجهه دم فذهب إلى مجلس من مجالس الأنصار فقالوا مالك قال حدث مني

كذا و كذا و كان من عمر كذا و كذا قالوا و الله لا يقوم معك إلا أصغرنا قم يا أبا سعيد كلنا سمعنا هذا من رسول الله و كلنا نعلم أنّ من السنّة أن نستأذن على الرجل في بيته ثلاث مرات مسمعات فإذا لم يأذن لنا فلنرجع نرجع حتى لو أنه قال ارجعوا فارجعوا كما قال الله ربّ العالمين فعمر رضوان الله عليه يتوعّد أبا موسى الأشعري و هو من هو رضوان الله عليه يتوعّده بإيجاع ظهره ضربا إن لم يأت بشاهد يشهد على أنّ النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم قال ما قال. يتثبّتون في الأخبار و كذلك شأن المؤمن المسلم لابد أن يتثبّت في الأخبار و بخاصّة إذا كان الذي ينقل إليك الخبر فاسقا يعني لا يراعي الله تبارك و تعالى و لا يرقبه و هو خارج على أمر الله ربّ العالمين أو كان يروي بالمعنى يعني ذاكرته متفلّتة فهو يأت إليك فيقول: يقول لك فلان كذا وكذا و يروي الكلام بالمعنى في حين أنّ الرجل الذي حمّله الرسالة لم يقل ذلك أو الذي ينقل عنه لم يقل ذلك فالصّحابة رضوان الله عليهم كانوا يهتمّون بالإسناد اهتماما كبيرا وهذا الاهتمام بالإسناد لأنهم كلهم كما هو معروف لأنّ الصّحابة كل الصّحابة كانوا عدولا يعني لا يتأتّى من واحد منهم بحال أبدا خروج على أمر رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فيكذب على النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم و كانوا رضوان الله عليهم واعين لما ينقلون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لأننا نحن المسلمين الآن نقع في أمر عظيم فمهما نقلت من نص عن النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم لم تضبطه عند النقل فنقلته و لحنت فيه يعني رفعت المنصوب و نصبت المجرور و أخذت تصنع في ذلك النحو ما لا يَجْمُلُ أن يصنع به لو فعلت ذلك فأنت أي الأبعد يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك تلحن في نصّ رسول الله و النبيّ لم يكن يلحن فهذا الكلام الذي جئت به من أين جئت به و أنت تعلم أنّ اللّحن أحيانا يُخرج من الملة ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ [البقرة: ١٢٤] فقدم المفعول به وهو إبراهيم و أخّرالفاعل و هو ربه فالذي يَبتلي ههنا هو الله و المُبتلى هو إبراهيم لو قال إنسان وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمُ رَبهُ فيكون المُبتلى هنا هو الله و يكون المبتلي هو إبراهيم و هذا خطأ فاحش لو قصده قاصد لخرج من الملة

﴿ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] لو قال و رسولِهِ و جعلها على الخفض فقد عطفها على المشركين فإذا يبرأ الله رب العالمين على ذلك من المشركين و من رسوله

كما أنّ الرجل الأعرابي لمّا جاء فصلى وراء إمام نصبه عمر فلمّا أن دخل الرجل الصلاة فلحن فقال: أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ فقال الأعرابي أوقد برأ الله من رسوله إني قد برأت ممن برأ منه الله فأمسكوا به و ذهبوا به إلى عمر رضوان الله عليه فقال عمر ما تقول قال لقد سمعت من الإمام الذي نصبته في المسجد آنفا أنّ الله قد برأ من رسوله قال و ما ذاك فأعاد عليه الآية ملحونة فقال ليس كذلك و إنما هي ﴿ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] يعني و رسوله بريء من المشركين كما أنّ الله بريء من المشركين، و كذلك إذا ما نظرت في قول الله جل وعلى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ [فاطر: ٢٨] و لفظ الجلالة ههنا في موضع النصب على المفعولية فهو الذي يُخشى﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

فالعلماء هم فاعل الخشية هم الذين يخشون من الله جلّ وعلى لو قال قائل إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ فكأنّ الله تبارك و تعالى- أو من عباده العلماءِ – فكأنّ الله جلّ و على يخشى من العلماء و من تعمد أن يقول مثل ذلك فقد خرج من الملة نسأل الله السلامة فأنت إذا لحنت في حديث النبي فأنت تكذب على رسول الله لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكذب قط و هؤلاء في النقل رحمة الله عليهم حتى الذين جاءوا من بعد الصّحابة و التابعين كانوا يتحرّجون في أن يغيّروا في الرّواية رسول الله إلى النبيّ يعني إذا قال الذي يسمع منه الراوي يعني إذا قال الشيخ في مجلس التحديث قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم كذا و أراد التلميذ أن ينقل عن الشيخ ما قال فليس له أن يقول قال النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم كذا كانوا يتحرّجون من أن يُغيَر رسول الله إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أو النبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم مع أنّ رسول الله هو النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم بلا خلاف و لكن يتحرّجون تغيير شيء من موضعه و ينقلون الأمر على وجهه فأدّوا الأمانة كما ينبغي أن تؤدى رضوان الله عليهم جميعا، لمّا وقعت الفتنة، الفتنة الأولى التي كانت بقتل عثمان رضوان الله

عليه و اشتجر الأصحاب في الخلاف و أسيلت بعد ذلك و أريقت الدماء هذا قول، أم هي فتنة ابن الأشعث عندما كانوا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم من أجل أن يؤيّدوا بدعتهم، الذي يذهب إليه المحقّقون أنها كانت فتنة ابن الأشعث يقول كما في مقدمة صحيح مسلم رحمة الله عليه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلمّا وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم يعني أنت تأتي بهذا النصّ عمن؟ و هذا الذي سمعت منه عمن سمع ؟ أين هي سلسلة الإسناد؟ أنت لا تستطيع أن تصعد السطح من غير سلّم ويحك أتستطيع أن تصعد السقف من غير سلّم؟ فكذلك لا تستطيع أن تصل إلى المتن يعني إلى النصّ من غير سلسلة من غير إسناد فكيف تصل إلى النصّ من غير إسناد؟ فلمّا وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم من أجل أن نرى هؤلاء الرّجال و نرى عدالة هؤلاء الرّجال و ننظر في أحوال هؤلاء الرّجال، يُنظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم و يُنظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم و بناء على أنّ الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده ظهر علم الجرح و التعديل.

المجروح الذي قيل فيه ما يجعل روايته ساقطة لا تُقبل و المعدّل الذي قيل فيه من الأقوال ما يجعله عدلا مقبول الرّواية زكّاه العلماء فهذا علم يسمّى بعلم الجرح و التعديل و هو ما قيل في الرّواة من نقلة الأخبار و نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ما قيل فيهم من الأقوال التي تزكّيهم و تعدّلهم و تجعلهم مقبولا روايتهم أو تجعلهم ساقطين منفيّين لا تقبل منهم رواياتهم.

ظهر علم الجرح و التعديل و الكلام على الرّواة و ظهرت بعد ذلك علوم كمعرفة المتّصل أو المنقطع من الأحاديث و الأسانيد و معرفة العلل الخفية و ظهر الكلام في بعض الرّواة و لكن على قلّة لقلّة الرّواة المجروحين في أوّل الأمر لأننا نعود الآن إلى عهد الصّحابة المكرّمين رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا يكذبون و لم يثبت قطّ أنّ واحدا منهم تورّط في الكذب و أنت عندما تقرأ في النصوص و في الأخبار فتجد بعض أهل الزيغ يقولون أنّ النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم قال الحديث المتواتر الذي هو من دلائل نبوته و هو "من كذب عليّا متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار"، "من كذب عليّا متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار"، قال بعض أهل الزيغ أنّ

النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم قال هذا النصّ بسبب أنّ رجلا من الأصحاب تورّط في الكذب على رسول الله و هذا لم يحدث بفضل الله تبارك و تعالى من أصحاب النبيّ، لم يكونوا يكذبون قطّ رضوان الله عليهم أجمعين.

فالرّواة المجروحون يعني الذين لا تقبل منهم رواياتهم و يُتوقّف فيهم حتى يتبيّن المرء حالهم هؤلاء الرّواة المجروحون لم يكونوا كثيرين في بدأ الأمر و توسّع العلماء بعد ذلك حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية الضبط، كيفية التحمّل، كيفية الأداء، معرفة النّاسخ والمنسوخ، معرفة غريب الحديث، معرفة المدرج من الأحاديث إلى غير ذلك ممّا كان يتناقله العلماء و لكن شفهيا من غير تدوين و لكنها قواعد شاملة حاضرة في أذهانهم و هذه القواعد عليها العمل بين هؤلاء العلماء في نقل الأخبار و في ثبوت الأحاديث أو في تزييفها رضوان الله عليهم جميعا ووضعوا لكلّ أمر من الأمور التي تتعلق بالأحاديث النبويّة الشريفة وضعوا لها علم فوضعوا علم الوفيات و علم المواليد و لا تضنّن أنّ هذا الذي وصل النّاس إليه في القرون المتأخرة و في الحضارة والمدنية الحديثة من ضبط المواليد و ضبط الوفيات أنّ هذا جديد، أبدا إنّ علماءنا من المحدّثين كتبوا في الوفيات و كتبوا في سني مواليد الرّواة من أجل أن يعلم هل هذا الرّاوي الذي ولد سنة كذا و مات سنة كذا و يقول إنّه سمع من فلان، فلان مات سنة كذا مات قبل أن يولد هذا الذي يقول إنّه قد سمع منه فكيف بالله يكون قد سمع منه؟ إذا هو كاذب أو مدلّس في دعوى السماع من هذا الرّاوي فضبطوا الوفيات وضبطوا المواليد و ضبطوا الرّحلات من الذي رحل؟ ومن الذي دخل البلد؟ و من الذي ذهب إلى البلد فوجد المحدّث قد مات فلم يسمع منه شيئا؟ و من الذي دخل البلد و المحدّث لم يمت و لكنّه صرفه عن السماع منه صارف؟ و من الذي اختلط في آخر عمره فكان لا يدري ما يقول؟ و متى اختلط؟ حتى نميز الأحاديث التي كان يرويها قبل الاختلاط من الأحاديث التي رواها بعد الاختلاط فنقبل ما نقله الثّقاة عنه قبل اختلاطه كما هو الشأن مع أبي إسحاق السبيعي رحمة الله عليه و هو من فحول نقلة حديث النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم اختلط في آخر عمره فنحن ننقل عن هؤلاء المحدّثين ما قالوه ورَوَوْهُ قبل اختلاطهم و لا نقبل ما كان بعد الاختلاط، ما من أمر من الأمور إلا ووضعوا له

علما مستقلا، الذي أبهم يقول فجاء رجل فسأل النبيّ صلى الله عليه وعلى آله و سلم من هذا الرجل؟ فقام رجل فقال يا رسول الله، فهذا رجل أُبهم فلم يُذكر، فقالت امرأة سفعاء الخدّين يا رسول الله أيكفرن بالله فقال لا بل يكفرن العشير، من هذه المرأة و ما اسمها و ما شيتها و ما حليتها و متى تكلمت بهذا الموقف و متى ماتت و متى كانت حيّة إلى أمثال هذه الأمور فيما يتعامل به المحدّثون مع المبهمات سواء كان المبهم الذي لا يُذكر اسمه و لا لقبه و لا كنيته و لا يُعرف في ظاهر الأمر سواء كان هذا المبهم في الإسناد يعني في سلسلة الرجال أم كان في المتن يعني في النصّ الذي تنقله، هذه الأشياء وصل إليها المحدّثون رحمة الله عليهم و ضبطوها غاية الضبط ووضعوا علوما لا تقبل بعد ذلك زيادة أبدا رحمة الله عليهم جميعا فعلومهم من حيث القواعد و من حيث الأصول لا يُزاد عليها بفضل الله ربّ العالمين و أمّا من حيث التطبيق من حيث تطبيق تلك القواعد و تلك الأصول على الأحاديث بالأسانيد و المتون و البحث عن تلك الأحاديث في بطون الكتب من المخطوطات التي تظهر إلى غير ذلك فهذا أمر فيه اجتهاد لأهل العلم و أمّا قواعدهم رحمة الله عليهم فقد أسّسوها و انتهى الأمر، تطوّر الأمر بعد ذلك و صارت العلوم تكتب بعد أن كانت مجرّد قواعد تعارف عليها العلماء فهم يستخدمونها من غير كتابة في كتاب و لا قرطاس بعد ذلك دُوّنت العلوم و كتب العلماء من المحدّثين رحمة الله عليهم و من نقدة الأخبار كتبوا القواعد و فصّلوها رحمة الله عليهم و لكن في بدأ الأمر كانت قواعد نقل الحديث النبوي الشريف مبثوثة متداخلة في كتب الأصول و في كتب الحديث و في كتب الفقه أيضا كما صنع الإمام الكبير الإمام الشّافعي في كتاب الرسالة و في كتاب الأمّة فتجد الشّافعي رحمة الله عليه يؤسّس لعلم المصطلح في كتاب الرّسالة و هو في الأصل أي الكتاب كتاب مؤسّس لعلم الأصول و مع ذلك تجد الشّافعي ينصّ على قواعد كثيرة رحمة الله عليه ممّا يتعلّق بكيفية ضبط الأخبار و نقل تلك الأخبار أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم و لكنّها ليست في مصنّف مستقلّ و إنّما هي في مصنّف وضع في الأصل لبيان قواعد تتعلّق بأصول الفقه و لكن لمّا نضجت العلوم بعد ذلك و استقرّ الاصطلاح و استقلّ كل فنّ من فنون العلم الشّرعي عن غيره و ذلك في القرن الرّابع هجري أفرد العلماء علم المصطلح في كتب

مستقلّة و أوّل من أفرد علم المصطلح بتصنيف مستقلّ هو القاضي أبو محمّد الحسن ابن عبد الرّحمان ابن خلاّد الرَّامَهُرمزي الإمام الرَّامَهُرمزي في كتاب سمّاه المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي، المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي و هو بحمد الله جلّ و على مطبوع الآن موجود متوفر في المكتبات بفضل الله ربّ العالمين، القاضي أبو محمّد ابن خلاّد الرَّامَهُرمزي توفّي سنة ستين و ثلاث مئة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في القرن الرّابع هجري، هو أوّل من صنّف تصنيفا مستقلاّ و كتب كتابا مستقلاّ في علم مصطلح الحديث و أنت تعلم أنّ علم الحديث يقسّمه العلماء قسمين:

علم الحديث رواية و علم الحديث دراية.

علم الحديث و هو من أجلّ العلوم كما هو معلوم لأنّه إذا كان العلم يَشْرُفُ بشرف معلومه فعلم الحديث معلومه هو كلام رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و يكفيه هذا شرفا و أهل الحديث لهم منزلة عظيمة جدا في دين الله ربّ العالمين و في سلسلة العلماء المسلمين.

أهل الحديث هُمُ أهل النبيّ و إن

لم يشهدوا نفسه أنفاسه شهدوا

صلى الله عليه وعلى آله و سلم فعلم الحديث رواية و علم الحديث دراية، علم الحديث في جملته ينقسم قسمين:

علم الحديث رواية و علم الحديث دراية

علم الحديث رواية هو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلُقيّة فعلم الحديث رواية علم يتعلّق و يشتمل على ما أضيف إلى النبيّ، إذا هو ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعني من غير فحص في المتون و لا في كيفية النقل و إنّما هو تعامل مع المتن.

علم الحديث رواية هو مجرّد النقل هو ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلُقيّة لأنّ هذا هو تعريف الحديث عند المحدّثين فالمحدّثون يهتمّون بكلّ شيء كان متعلّقا برسول الله

حتى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنّ وصف النبيّ صلى الله عليه وعلى آله و سلم لم يكن يتعلّق به عمل يعني أنت لو عرفت أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان شديد سواد العين كان النبيّ صلى الله عليه وسلم شديد سواد العين و كان بين عينيه عرق يدرّه الغضب و كان النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربعة في الرّجال فليس بالطويل و ليس بالقصير و إنّما كان بين بين صلى الله عليه وعلى آله و سلم لو أنّك عرفت هذا، هذا يترتّب عليه حكم شرعي يلزمك العمل به؟ يعني لو أنّك خلقت قصيرا لم تبلغ مبلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في خِلقته أو خلقت طويلا فتجاوزت ما جعله الله ربّ العالمين في خِلقة النبيّ صلى الله عليه وسلم في الوسطيّة فماذا تصنع؟ لا يترتّب عليه حكم و لكن المحدّثون ينقلون لك صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنّك تراه فإذا العلم الذي يتعلّق برواية ما أضيف برواية بنقل ما أضيف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من القول أو الفعل أو التقرير كأن يؤكل الضبّ على مائدته فلا ينكر، يؤكل الضبّ و هو حيوان جبلي معقّد الذنب يؤكل على مائدة الرّسول صلى الله عليه و على آله وسلم و هو ينظر فلا يعترض هذا تقرير إذا قد أقرّه فما دام أقرّه فهذه سنّة تقريرية فالرّسول صلى الله عليه وسلم كل ما روي عنه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلُقيّة يعني ما يتعلّق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلمه و صفحه و صبره و عدله صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الصّفات التي كان قد حلّى الله ربّ العالمين بها نبيّه صلى الله عليه وعلى آله و سلم هذا علم الحديث رواية و أمّا علم الحديث دراية، علم الحديث دراية فأمر ستعمل فيه العقول بمجرّد ما تسمع دراية لأنّه أمر يتعلّق بالدّراية بالبحث بالنظر بالتنقيب بالفحص بالتفتيش فهذا أمر عندئذ يتعلّق بغير الرواية و لا يتعلّق بالرّواية وحدها فهو علم يُعرف به حال الرّاوي و المرويّ من حيث القبول و الردّ.

إذا علم الحديث دراية هو علم ستبحث فيه عن حال الرّاوي الذي ينقل الحديث و عن المرويّ أيضا الذي نقله الرّاوي من حيث القبول و الردّ يعني هذا الرّاوي نعتمده أو لا نعتمده نجيزه أو لا نجيزه و إن كنّا نعتمده فما مسوّغات الاعتماد؟ و إن كنّا نردّه فما

حيثيّات الردّ و هذا النصّ أيضا عندما ننظر فيه نعتمده أو نردّه و أيضا حيثيّات الاعتماد أو حيثيّات الردّ هذا هو علم الحديث دراية.

علم الحديث دراية هو علم يبحث في حال الرّاوي و المرويّ يعني الرّاوي هو الرّجل الذي ينقل الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أو عن شيخه عن شيخه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم و المرويّ هو ما يُنقل في النّهاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا علم الحديث دراية هو علم يُعرف به حال الرّاوي و المرويّ من حيث القبول والردّ و ما يتعلّق بذلك من طرق الرّواية و طرق الأداء يعني عندما يجلس العلماء في مجالسهم يعلّمون تلامذتهم و عندما يجلس الرّاوي المحدّث في مجلس التحديث و يقوم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم ما النُظُمْ التي كانت تحكم الجلسة؟ ماهي النظم التعليمية التي كانت تحكم جلسات الحديث يجلس فيها المحدّثون من أجل أن ينقلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم إلى تلامذتهم؟ و أيضا عندما يجلس التلميذ في الحلقة يسمع من الشيخ هل كان الشيخ يحدّث من حفظه؟ أو يحدّث من كتابه؟ أم كان هناك من يقرأ من كتاب الشيخ و الشيخ يسمع؟ أم أنّه ناول التلميذ كتابا فقال هذه مسموعاتي و قد أجزتك بها فأجازه مناولة؟ أو أنّه أجازه مناولة من غير إجازة فناوله الكتاب يعلم التلميذ الكتاب و الشيخ يعلمه من غير أن يقول أجزتك؟ أو يأتي إليه فيقول له أجزني بمرويّاتك في كتاب كذا فيجيزه؟ فهذه الأشياء كلّها تتعلّق بطرق التحمّل والأداء.

الأداء هو أن يجلس المحدّث أو العالم فيؤدي العلم و أيضا يجلس التلميذ في مجلس العلم فيتحمّل فهذا تحمّل و هذا أداء ما هي طرق التحمّل و الأداء؟ هذا ما يبحث فيه علم الحديث دراية فعلم الحديث رواية يبحث في ما أضيف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلُقيّة و علم الحديث دراية هو علم يبحث عن حال الرّاوي و المرويّ من حيث القبول و الردّ و ما يتعلّق بذلك من الأداء و الضبط و طرق التحمّل و الأداء.

فهذا هو علم الحديث في تقسيمه العام، العلماء رحمة الله عليهم بداية من القرن الرّابع الذي كان فيه محمّد ابن خلاّد، أبو محمّد ابن خلاّد الرَّامَهُرمزي الذي كتب

كتاب المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي و هو أوّل مصنّف مستقلّ في علم مصطلح الحديث في قواعد الرّواية و طرق ضبط الأداء في القرن الرّابع فتح الرّجل الباب رحمة الله عليه فكتب المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي و لم يكن- كشأن كلّ رائد يبدأ أمره- لم يكن الكتاب مستوعبا و لم يكن منسّقا التنسيق الذي نسّقه العلماء بعد ذلك و حُقّ له لأنّه رائد يبدأ الطريق من أوّله و لا يحتذي حذو من سبقه و إنّما هو يؤسس علما من حيث التدوين و أمّا العلم فقواعده في كتاب الله و سنّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم يؤسس علما من حيث التدوين فهو لا ينهج فيه على نهج سابق فأتى الكتاب و فيه بعض ما يمكن أن يؤخذ عليه ثمّ جاء بعد ذلك أبو عبد الله محمّد ابن عبد الله الحاكم الإمام الحاكم النيسبوريّ المتوفّى سنة خمس و أربع مئة من هجرة رسول الله في بداية القرن الخامس هجري فصنّف كتاب معرفة علوم الحديث و لم يهذب الأبحاث و لم يرتبها الترتيب الفني المناسب و له عذره فجاء أبو نُعيم رحمة الله عليه أحمد ابن عبد الله الأصبهاني متوفّى سنة ثلاثين و أربع مئة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم يعني توفّي بعد خمس و عشرين سنة من موت الإمام الحاكم أبي عبد الله رحمة الله عليه فصنّف أبو نُعيم المستخرج على معرفة علوم الحديث فصنع مستخرجا على كتاب الحاكم رحمة الله عليه كتب فيه و استدرك ما فات الحاكم في كتابه معرفة علوم الحديث من قواعد الفنّ و لكن ترك أشياء يمكن للمتعقّب أن يتعقّبه عليه و هذا هو شأن كل مؤلّف بشري لأنّه ما من إنسان يصنّف مصنّفا إلا و فيه من المآخذ ما الله به عليم و الشافعي رحمة الله عليه قرأ الرّسالة على تلامذته خمسين مرّة و في كلّ مرّة يقدّم و يؤخّر و في كلّ مرّة يزيد و ينقص فلمّا وصل إلى المرّة الخمسين و هو يزيد و ينقص و يقدّم و يؤخّر و يشطب من ذلك و يقدّم فيه ما يقدّمه من العلم الذي أحدثه الله له إلى غير ذلك لمّا ملّ قال أبى الله أن تكون العصمة لكتاب سوى كتابه أبى الله أن تكون العصمة لكتاب سوى القرآن العظيم يعني لو ضليت أنظر في الكتاب ألف مرّة و كلّ مرّة أقدّم و أؤخّر و أزيد و أنقص لأنّه عمل بشريّ و كذلك كلّ عمل بشريّ ثمّ جاء الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المشهور المتوفى سنة ثلاث و ستين و أربع مئة و هو الذي وضع كتاب الكفاية في

علم الرّواية و هو من أجلّ الكتب في هذا الفنّ كتاب حافل بتحرير مسائل هذا الفنّ و بيان قواعد الرّواية و يعتبر من أجلّ مصادر هذا العلم، كتاب الكفاية للخطيب البغدادي رحمة الله عليه و كتب أيضا الجامع لأخلاق الرّاوي و آداب السّامع صنّفه الخطيب أيضا و هو كما ترى من عنوانه يبحث في آداب الرّواية كما هو واضح من التسمية و هو كتاب فريد في بابه قيّم في أبحاثه و محتوياته و قلّ فنّ من فنون علوم الحديث إلاّ و صنّف الخطيب فيه كتاب مفردا رحمة الله عليه و لذلك قال الحافظ أبو بكر بن نقطة:" كل من أنصف علم أنّ المحدّثين بعد الخطيب عيال على كتب" كل من أنصف علم أنّ المحدّثين في العالم كلّه بعد الخطيب البغدادي المتوفى سنة ثلاث و ستين و أربعمائة من هجرة رسول الله كلهم بعده عيال على كتبه رحمة الله عليه ثمّ جاء القاضي عياض المالكي عياض بن موسى اليَحْسُبي رحمة الله عليه و صنّف كتابا سمّاه الإلماع إلى معرفة أصول الرّواية و تقليد السّماع و الكتب التي مرّت كلّها بفضل الله ربّ العالمين قد طبعت محققة فهذا الكتاب الذي صنّفه الإمام القاضي عياض بن موسى اليَحْسُبي المتوفّى سنة أربع و أربعين و خمسمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم هذا الكتاب حققه الأستاذ السيّد صقر رحمة الله عليه و هو من كبار المحققين في القرن الماضي في أواخره رحمة الله عليه كان من كبار المحققين فأخرجه إخراجا حسنا، الكتاب في ذاته غير شامل لجميع أبحاث المصطلح بل هو مقصور على ما يتعلّق بكيفية التحمّل و الأداء و ما يتفرّع عن ذلك غير أنّ كتاب الإلماع للقاضي عياض كتاب جيّد في بابه حسن التنسيق و الترتيب ثمّ جاء بعد ذلك أبو حفص عمر بن عبد المجيد المَيَنْجي المَايَنَاجي لأنّك ستجد لها ضبطا على غير صورة المتوفى سنة ثمانين و خمسمائة فكتب كتابا جزءا صغيرا ليس فيه كبيرعلم و لا كبير فائدة رحمة الله عليه سمّاه ما لا يسع المحدّث جهله، ما لا يسع المحدّث جهله ثمّ جاء الرّجل الذي جعله الله ربّ العالمين فرقانا في تاريخ تدوين علم المصطلح و هو الإمام الكبير أبو عَمْر عثمان بن عبد الرّحمان الشهرزوري المشهور بابن الصلاح، جاء بن الصلاح رحمه الله رحمة واسعة فكتب كتابا مشهور هو بين الناس بمقدّمة بن الصلاح هذا الكتاب من أجود الكتب في المصطلح جمع فيه مؤلّفه ما تفرّق في كتب غيره ككتب الخطيب و

من تقدّمه فكان كتابا حافلا بالفوائد لكنّه لم يرتبه أيضا على الوضع المناسب لأنّه أملاه في مجالس العلم شيئا فشيئا رحمة الله عليه و هو مع هذا عمدة من جاء بعده من العلماء فكم من مختصر له و ناظم و كم من معارض له و منتصر، مقدّمة بن الصلاح منشورة نشرتها دار المعارف في أفضل نشراتها بتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ رحمة الله عليها و ابن الصلاح توفي سنة ثلاث و أربعين و ستمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم ههنا نقطة الفصل عندما جاء بن الصلاح رحمة الله عليه و كتب المقدّمة أصبح ما قبل بن الصلاح و ما بعد بن الصلاح تستطيع أن تقول ق.ص و تستطيع أن تقول ب.ص قبل بن الصلاح و بعد بن الصلاح رحمة الله عليه جاء بعد بن الصلاح رحمه الله الإمام النووي رحمه الله رحمة واسعة المتوفى سنة ست و سبعين و ستمائة من هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم فاختصر المقدّمة في جزء يسير سمّاه التقريب و التيسير لمعرفة سنن البشير النذير، التقريب و التيسير لمعرفة سنن البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله و سلم و هو اختصار لكتاب علوم الحديث أي مقدّمة بن الصلاح غير أنّه فيه أحيانا استغلاق في بعض عباراته و كذلك صنّف رحمة الله عليه أي النووي مختصرا هو أبسط من هذا التقريب شيئا ما فكان وسطا بين المقدّمة في بسطها و التقريب في اختصاره و هو إرشاد طلاّب الحقائق، في هذا الإرشاد بسط سوى الذي في كتاب التقريب، النووي رحمه الله لمّا كتب كتابه جاء بعده السيوطي رحمة الله عليه جلال الدين عبد الرّحمان بن أبي بكر المتوفّى سنة إحدى عشر و تسعمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم في بداية القرن العاشر من الهجرة فتناول تقريب النووي بالشرح فشرحه في كتاب سمّاه تدريب الرّاوي في شرح تقريب النواوي سمّاه تدريب الرّاوي في شرح تقريب النواوي و هو من أمتع الكتب كتاب حسن جدا بفضل الله ربّ العالمين شرح تقريب النواوي كما هو واضح من الاسم و جمع فيه كذلك أي السيوطي من الفوائد الشيء الكثير ثمّ إنّه قبل ذلك جاء شيخ بن حجر و الذين كانوا في عصره من الشيوخ كالسّخاوي و أمثال هؤلاء جاء زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ست و ثمانمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم صنّف الألفية و لكن لم يسمّها ألفية العراقي و إنّما سمّاها نظم

الدرر في علم الأثر سمّيت عند الناس بعد ذلك ألفية العراقي نظم فيها علوم الحديث لابن الصلاح و زاد عليها، زاد على المقدّمة و على بن الصلاح و هي جيدة غزيرة الفوائد جدا و عليها شروح متعددة منها شرحان للمؤلّف نفسه يعني الإمام زين الدّين العراقي شرح ألفيته التي نظمها التي نظم فيها مقدّمة ابن الصلاح التي نظمها هو، شرحها في شرحين، شرحين مختلفين أحدهما يسمّى فتح المغيث على نفس الاسم الذي أخذه بعد ذلك الإمام السّخاوي في شرحه الذي هو من أفضل الشّروح على ألفية العراقي و سمّاه أيضا فتح المغيث و أيضا للحافظ العراقي رحمة الله عليه زين الدين له أيضا تعليقات و تنكيتات نكّتها و علّقها على المقدّمة ذاتها في ما يسمّى بالتقريب و التيسير فأخذ أيضا أو التقييد و الإيضاح، التقييد و الإيضاح في مقدّمة ابن الصلاح هذا لزين الدين العراقي رحمة الله عليه فأصبحت مقدمة بن الصلاح علامة فارقة في تاريخ علم المصطلح ما قبلها و ما بعدها و ترى أنّ كل ما بعدها إنّما هو مستق منها ناهل من معينها هذا ينظم المقدّمة شعرا و هذا ينكّت عليها كما فعل الحافظ العراقي و كما فعل بعد ذلك الحافظ بن حجر في النكت على ابن الصلاح كتاب النّكت على ابن الصلاح نكّت فيه أيضا يعني تتبّع فيه بن الصلاح في أشياء راجعه فيها و مآخذ أخذها عليه فتجد أنّ الذين جاءوا من بعد يختصرون المقدّمة و ينظمون المقدّمة و يأتي أقوام فيشرحون النظم و أقوام يختصرون الشرح إلى غير ذلك من الأمور و جاء بعد ذلك محمّد بن عبد الرّحمان السّخاوي من قرية سخا في صعيد مصر الذي توفي سنة اثنتين و تسعمائة من هجرة رسول الله فشرح الألفية التي هي نظم لمقدّمة بن الصلاح شرح الألفية في كتاب اسمه فتح المغيث و هو مشهور متداول بفضل الله ربّ العالمين له فهارس في مجلّد مستقلّ و أمّا الشرح ففي أربعة أجزاء بفضل الله ربّ العالمين محققة تحقيقا فيه كثير من الضبط، شرح على ألفية العراقي و هو من أوفى شروح الألفيّة و أجودها و جاء الحافظ بن حجر رحمه الله فأخذ يصنع بعض المختصرات له مختصر يسمّى نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر صنّف الحافظ بن حجر المتوفى سنة اثنتين و خمسين و ثمانمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم هذا المختصر و هو جزء صغير مختصر جدا و لكنّه من أمتع المختصرات و أجودها

ترتيبا ابتكر فيه المؤلّف رحمه الله الحافظ بن حجر ابتكر طريقة في الترتيب و التقسيم لم يسبق إليها و شرحه المؤلّف نفسه أي بن حجر رحمه الله في شرح سمّاه نزهة النظر، نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر رحمة الله عليه و جاء بعد ذلك عمر ابن محمّد البيقوني المتوفّى سنة ثمانين و ألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالبيقوني صنع منظومة صغيرة لا تتجاوز أربعة و ثلاثين بيتا تسمّى المنظومة البيقونية المنظومة البيقونية و عليها شروح و تعليقات كثيرة جدا على المنظومة البيقونية و هي من المختصرات النّافعة المشهورة و عليها شروح متعددة جمع فيها عدّة أجناس من علوم الحديث و أيضا من ألفاظ الحديث جمعها هؤلاء العلماء في منظوماتهم و في مختصراتهم تسهيلا على الطلاّب في أزمانهم و تعقيدا على الطلاّب في أزماننا، حتى المختصرات و المنظومات كانت تيسيرا على الذين كتبت لهم يعني الآن تجد الذي يفتح الله ربّ العالمين عليه و يفتح عين بصيرته فيحفظ تحفة الأطفال و الغلمان، تحفة الأطفال تحفة الأطفال و الغلمان في علم تجويد القرآن الذي يحفظها اليوم يسمّى عالما ربّما أطلق عليه أنّه عالم بالقراءات لأنّه يحفظ تحفة الأطفال مع أنّ الاسم كما ترى يدلّ على أنّ هذه المنظومة كانت لمن؟ للأطفال و الغلمان ليست للرّجال و إنّما هي للأطفال اليوم إذا حفظها رجل صار عالما مع أنّها في الأصل لمن؟ للأطفال و الغلمان تسمّى تحفة الأطفال و الغلمان فمثل هذه المنظومات و مثل هذه المختصرات كتبت لزمان غير زماننا كان العلماء فيه في طفولتهم يتوفّرون على أمثال تلك الأشياء أمّا نحن ففي شيخوختنا، في شيخوختنا لو توفّرنا عليها لكنّا بحقّ ممن يستحقّ الحياة ثمّ جاء بعد ذلك في العصر الحديث كثير من العلماء فصنّفوا في المصطلح مصنّفات كثيرة منهم محمّد جمال الدّين القاسمي رحمه الله المتوفّى سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا محرّرا مفيدا اسمه قواعد التحديث و هو مشهور منشور بفضل الله ربّ العالمين.

مصنّفات كثيرة يطول ذكرها و هذا يدلّك على أنّ ربّك تبارك و تعالى لمّا قال في كتابه المجيد:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] كان من حفظ

ربّك تبارك و تعالى و من دلائل نبوّة نبيّك محمّد صلى الله عليه وعلى آله و سلم ما صرف الله ربّ العالمين إليه همم العلماء من ناظم و ناثر و من كاتب مطوّل و من مختصر إلى غير ذلك من هؤلاء العلماء الله ربّ العالمين يوجّه كلّ واحد منهم وجهة معيّنة فيكتب الكتب التي كتبت في تاريخ الإسلام لو رجعت إلى المعاجم التي أحصتها فستجد العجب العاجب هذه الكتب حرّك الله ربّ العالمين همم العلماء لكتابتها يتوفّرون على التصنيف و يجدون العناء و يجدون المشقّة في الضبط و في التصنيف و ينفقون الأوقات ربّما الأعوام المتطاولات عشرات الأعوام لكي يكتب الواحد منهم مصنّفا مبسوطا أو مختصرا منظوما أو منثورا كلّ ذلك لحياطة دين ربّك لحياطة سنّة نبيّك صلى الله عليه وعلى آله و سلم فهذا دلالة من دلائل نبوّة النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما الذي يحرّك هذه الهمم لكي تكتب أمثال هذه الأشياء لولا أنّ الله تبارك و تعالى أنفذ وعده عندما قال و هو أصدق الصّادقين سبحانه و تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩] و من حفظ الذّكر حفظ سنّة النبيّ صلى الله عليه و سلّم لأنّ الله جلّ و على لو حفظ القرآن العظيم و فيه من الإجمال ما فيه، في القرآن أقيموا الصّلاة و لكن لم يبين لنا مواقيتها بدأ و منتهى و لم يبين لنا كيفيّات الصّلاة و لم يبين لنا سننها و لا المكروه فيها و لا ما يبطلها و كذلك ما يتعلّق بالزّكاوات و ما يتعلّق بالحجّ و ما يتعلّق بالقتال و ما يتعلّق بالمعاملات كلّ هذا ورد في القرآن على سبيل الإجمال، ما الذي فصّل ذلك؟ سنّة الرّسول صلى الله عليه وسلم، لو حفظ ربّك تبارك و تعالى المُبَيِّن و لم يحفظ ربّك تبارك و تعالى المُبَيِّن و هو السنّة فقلّي بالله عليك كيف يستطيع الإنسان أن يحلّ مغاليق ما قد أجمل و أشكل في كتاب الله ربّ العالمين مما لم يفصّله إلا سنّة الرّسول؟ لو لم يحفظ الله تبارك و تعالى سنّة النبيّ فكيف كنت تعرف كيفية صلاة رسول الله؟ كيفية الصّلاة التي أمر بها الله؟ يقول: ﴿ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾[البقرة: ٤٣] و لم يفصّل لك في القرآن مقادير الزّكاة الواردة في الأنعام و لا في الأموال و لم يبين لك زكاة عروض التجارة و لم يبين لك هل في الحليّ زكاة أم لا، كلّ ذلك بينته السنّة فلو لم يحفظ السنّة فقل لي بربّك كيف كنت تستطيع أن تزكّي عن أموالك إن كانت في هذا أو هذا أو هذا من أجناس الأموال؟ كيف كنت

تحجّ؟ كيف كنت تعتمر؟ كيف كنت تصلي؟ كيف كنت تتعامل بيعا و شراءا و إجارة و مشاركة و مضاربة إلى غير ذلك من أنواع المعاملات

إذا الله حفظ سنّة الرّسول صلى الله عليه وسلم كما حفظ ربّك تبارك و تعالى كتابه العظيم، هذا حفظه الله جلّ و على و هذا حفظه الله جلّ و على بحفظه تبارك و تعالى و لا أجلّ منه حفظ و الله ربّ العالمين قدّر هؤلاء العلماء خلقهم لهذا الشأن، الله ربّ العالمين خلق هؤلاء العلماء لهذا الشأن كما قالوا في علي بن المدين، قالوا في علي بن المدين و كان يوما جالسا في مجلس التحديث علي بن عبد الله بن المدين أبوه محدّث عبد الله بن المدين كان محدّثا إلاّ أنّه كان ضعيفا فسئل علي بن المدين في مجلس التحديث عن أبيه قيل له كيف حال أبيك عبد الله في الحديث جرحا و تعديلا؟ ما تقول فيه؟ أنحمل عنه الحديث؟ أم فيه ضعف لا نقبل منه الرّواية؟ فأطرق عبد الله يسير ثمّ قال هو الدّين أبي ضعيف، أبي ضعيف في الحديث انتهت القصّة لا يستطيع أن يدلّس في دين الله ربّ العالمين، يقولون علي بن المدين خلقه الله لهذا الشّأن و يقول البخاريّ الإمام رحمه الله ربّ العالمين رحمة واسعة: ما استصغرت نفسي في مجلس أحد ما استصغرتها في مجلس علي بن المدين البخاريّ رحمه الله يقول ما استصغرت نفسي في مجلس أحد ما استصغرتها في مجلس علي بن المدين رحمه الله.

البخاريّ رحمه الله من صغره خلقه الله ربّ العالمين لهذا الشأن مات أبوه و ترك ألوفا مؤلّفة من الدّراهم و كان رجلا صالحا لم يتعلّق بثروته درهم واحد فيه شبهة فظلا عن أن يكون حرام لم يتعلّق بثروة أبي محمّد و أبي أحمد البخاريين رحمهما الله لم يتعلّق بثروته درهم واحد فيه شبهة و فظلا عن أن يكون من حرام و لكنّه مات شاباً و كان من أهل العلم رحمه الله و ترك البخاريّ و أخاه محمدا و كان أكبر منه تركهما لأمّهما و كانت امرأة صالحة رضوان الله عليها و رحمته و أصاب البخاريّ في حدود الثّامنة من عمره العمى أصيب بالعمى و أشفقت أمّه من ذلك جدا و حزنت حزنا عظيما و كانت تديم الابتهال لله ربّ العالمين و الدّعاء أن يردّ الله ربّ العالمين البصر على البخاريّ رحمه الله وهو في الثّامنة من عمره بعد و جاء في ليلة من الليالي إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم جاءها في الرّؤيا و هي نائمة فقال يا

هذه لا تحزني و كانت قد نامت و دمعتها على خدّها كما يقولون قال يا هذه لا تحزني فإنّ الله راد بصر ابنك عليه و جاعله ممن يدافع عن سنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم فأصبحت و قد أعاد الله البصر للبخاريّ رحمه الله.

البخاريّ له كتاب يسمى التّاريخ الكبير ليس تاريخا بالمعنى الذي تفهمه و إنّما هو كتاب في علم الجرح و التعديل: فلان ولد في سنة كذا و مات في سنة كذا شيوخه فلان و فلان و فلان و تلامذته فلان و فلان و فلان و هو رحل إلى كذا و كذا و كذا و مات سنة كذا و درجته بين المحدّثين كذا و كذا و كذا هذا هو كتاب الجرح والتعديل، جمع فيه من الرّواة ما لا يحصيهم إلاّ الله ربّ العالمين يقول عندما ذهب إلى الحجّ مع أخيه و أمّه فلمّا أن فرغوا من الحجّ أصعدوا لزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمّا أن حطّ رحاله في مدينة النبيّ وله ثمانية عشر عاما استأذن من أمه أن يبقى في مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم و لم يكن المسجد يضاء بعد العشاء الآخرة لأنّك تعلم أنّ أوّل من أضاء المصابيح أو القناديل في المساجد هو عمر رضوان الله عليه فكان علي رضوان الله عليه إذا دخل مسجدا فوجده مضاءا بالقناديل يقول أنار الله قبرك يابن الخطّاب كما أنرت مساجدنا رضوان الله عليهم جميعا فكان بعد العشاء الآخرة لا يضاء في مسجد النبيّ صلى الله عليه و على آله وسلم ضياء و لا نور إلاّ النّور الذي يجعله الله ربّ العالمين فيه من حيث لا يدري الناس و لا يحتسبون، يقول البخاريّ بعد أن استأذن و بقي في المدينة و ذهبت أمّه و أخوه لحال سبيلهما يقول صنّفت التاريخ الكبير بجوار قبر الرّسول صلى الله عليه و على آله وسلم في اللّيالي المقمرة في اللّيالي المقمرة صنّف الكتاب من حفظه في اللّيالي المقمرة لا ضياء هناك و لا نور و إنّما كتبه على ضوء القمر يقول في اللّيالي المقمرة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول و قلّ اسم في التاريخ الكبير يعني في كتابه هذا و قلّ اسم في التاريخ إلا و عندي فيه قصّة و لكنّي خشيت التطويل رحمة الله عليه فلو كان أطال كيف كان يكون الشّأن رحمه الله، هذا الإمام العظيم خلقه الله ربّ العالمين لهذا الشّأن.

أحمد بن حنبل مات أبوه صغيرا و هو رحمة الله عليه و رضوانه رعته أمّه و كانت امرأة صالحة و كان وهو صغير يريد أن يخرج قبل أذان الفجر، أبوه لم يترك له شيئا

إلا دكّانا أو دكّانين فكان يعيش من غلتهما إيجارا و قراءة و عاش على الشظف و عاش على توحيد الله و إتباع نبيّه صلى الله عليه و على آله و سلم فكان ممن نترضّى عنه في مجالسنا و عند ذكر الصّالحين تتنزّل الرّحمة كما قال هو رحمة الله عليه و رضوانه لأننا لا نقدر علمائنا حقّ قدرهم كما هو معروف عنّا جميعا كان أحمد رحمة الله عليه متكئا يوما من علّة راقدا متكئا على فراشه من علّة من مرض رحمة الله عليه و ذكر عنده إبراهيم بن طهمان رحمة الله عليه و إبراهيم عالم من العلماء الكبار و من روّاة الصّحيحين إبراهيم بن طهمان لمّا ذكر و كان عابدا عند الإمام أحمد قام و كان متكئا يقول أسندوني أقيموني حتى قام و اعتدل في جلسته فقالوا له لم تشقّ على نفسك و لم قمت من اتكائك؟ فقال الإمام رحمه الله: لا يصحّ و لا يجمل أن يُذكر الصّالحون و نتكئ، لا يجوز أن يُذكر الصّالحون و نتكئ نحن لا يجوز

لا يجوز و لا يصحّ أن يُذكر الصّالحون و نتكي ثمّ قال عند ذكر الصّالحين تتنزّل الرّحمة. الإمام أحمد رحمه الله كان يريد أن يخرج و هو صغير و هو غلام بعد يافع لم يراهق لم يصل إلى حدّ المراهقة بعد كان يريد أن يخرج قبل أذان الفجر إلى مجالس التحديث من أجل أن يسمع أحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم من غير أن يُبلّغه إيّاها مبلّغ و هو المستملي الذي كان يقف بين يدي الشيخ.

يقول الشيخ حدّثنا فلان فيقول المستملي حدّثنا فلان كالمبلّغ في الصلاة و يوجد مستملي آخر لأن الحلقة كانت أحيانا تصل إلى سبعين ألف عمامة في مجالس العلماء، كان يجلس في مجالس العلماء أحيانا سبعون ألفا من أصحاب العمائم كلهم من العلماء الذين كانوا يطلبون العلم في ذلك الزّمان من العلماء بمقاييس عصرنا لم يصل إلى علم واحد منهم عالم من علمائنا اليوم لأنّهم كانوا حفظة لحديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و لقواعد العلم فكان أحمد رحمه الله يحبّ أن يخرج مبكّرا لكي يسمع من فم المحدّث و لا يسمع من المستملي فتأخذ أمّه بثيابه فتجمعها فتقول لا تخرج الآن و لم يكن أحمد رحمه الله يصل إلى العلم عن طريق العقوق فكان ينزع منها مثلا ثيابه و يقول دعيني يامرأة إنّي أريد أن أذهب لكي أسمع حديث رسول الله أنت تقعدين في البيت كالبومة و أنا أريد أن أطلب الحديث، لا لا لا لو

فعل ذلك ما كان لو فعل ذلك ما كان و إنّما يسمع كلامها و يصغي له و ينفّذ فيقعد يقول حتى يؤّن المؤذّن فإذا أذّن المؤذّنون على المنارات أطلقت سراحه فذهب رحمة الله عليه.

ابن الجوزيّ رحمه الله هو أيضا عاش يتيما و نشأ يتيما رحمه الله كان يأخذ كسرا من الخبز و يدور على مجالس العلماء و مجالس المحدّثين يسمع و يكتب ثمّ يأخذ كسره و يجلس على ضفّة الفرات سلّمه الله ربّ العالمين و اليوم يتدرّبون و يدرّبون القواة على كيفية عبوره من أجل احتلال العراق و من أجل احتلال بغداد سلّمها الله ربّ العالمين من كلّ سوء، يجلس على شاطئ الفرات يأخذ كسره فيجعلها في الماء في ماء الفرات ثمّ هذا هو إدامه، هذا إدامه يأكل كسره يجعلها في ماء الفرات حتى تأتي العشاء الآخرة خلقهم الله ربّ العالمين لهذا الشأن رحمة الله عليهم و لا تحسبنّ أنّ هؤلاء كان فيهم من الغلظة كثير شيء بل كان فيهم و فيهم رحمة الله عليهم و كان منهم رحمهم الله من كان ذا دعابة لطيفة فإنّ هشام بن عمّار رحمه الله و هو عالم من العلماء الفحول و من الرّواة المتمكّنين هشام بن عمّار رحمه الله رحمة واسعة عندما كبر في السنّ و الرّجل عندما يكبر في السنّ تعلم ما يحدث للإنسان منّا عندما يكبر و تضعف قوّته ربما أراد أن يجعل إزاره على وسطه فانحلّ عنه و ربّما جلس و إزاره غير محكم الوثاق على وسطه فربّما بدت عورته، و أرسل الخليفة يوما إليه ولدا من أولاده لكي يسمع منه الحديث و جلس هشام بن عمّار رحمه الله يتوضّأ فانكشفت عورته فقال له ابن الخليفة يا عمّاه يا عمّاه واري عورتك فقال رأيته؟ فقال نعم قال إذا لا يصيب الضّر عينك بعدها أبدا فلم يكونوا كما تحسبون و لم يكونوا أيضا كما تضنّون ليسوا منفلتين و أيضا ليسوا منغلقين و إنّما كانوا رحمهم الله ربّ العالمين يقدرون لكل شيء قدره و كانوا يعرفون قدر العلم الذي يحملونه و كانوا يوقّرون هذا العلم و يحترمونه حتى إنّ الواحد منهم لم يكن يقبل من واحد من المحدّثين أن يأتي بأمر يخل به ظاهرا يعني ما الذي يضيرك لو كنت محدّثا أن تركب حمارا فتركض به و تجري و يعدو بك عدوا كبيرا أي شيء في هذا يسقط العدالة أو يضع من قدرك أو يخلّ بمروءتك؟ لا شيء أمّا شعبة فيقول فلان ليس من رجالي فلان لا أروي عنه فيقولون لم؟ ما علمنا عليه إلا خير يقول رأيته يركب

بِرْذَونًا و هو من الهجين الذي هجن بين الأفراس العربية و غيرها، رأيته يركب بغلة يركض بها ملء فروجها و هي تجري و تجري جريا سريعا و أيّ شيء في هذا قال لا لا أسمع منه و لا أنقل عنه أنظر إلى دقّته في هذا أنظر إلى الرّجل منهم يقول لا أروي عن فلان فيقول له الشّافعي و لم؟ يقول رأيته يبول قائما يقول و أي شيء في هذا؟ رأيته يبول قائما يجوز أن يتبوّل الإنسان أحيانا قائما يقول رأيته يبول قائما قال و أي شيء في هذا؟ قال يتناثر رذاذ البول على ثوبه أو على جسده فقال و من أدراك أنّه لا يمسحه أو لا يغسله مع أنّه معفوّ عنه كما تعلم فيقول الشّافعي من أدراك أنّه لا يغسله قال أعلم أنّه لا يغسله و هو لا يعلم و لكن هو يظنّ به ظنا غالبا أنّه لا يغسله ما الذي أقامه و هو يتبوّل لم لا يقعد هكذا قولا واحدا فكانوا يتشدّدون في أمثال هذه الأمور حياطة لماذا؟ لحديث الرّسول صلى الله عليه و على آله و سلم و اليوم تجد الواحد منهم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قال ؟ أنت والله الذي رفع السّماء بغير عمد تكذب عليه إمّا أنّك تلحن في الحديث و تأتي بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا قالها الرّسول صلى الله عليه وسلم و إمّا أنّك تفتري على النبيّ صلى الله عليه و على آله و سلم ما لم يقله و من أدراك أنّه قال، الواحد منهم اليوم يقول روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و روي صيغة تمريض فكأنّك تضعّف المروي بعده.

عندما تقول يُقال عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكر عن رسول الله هكذا على المبني للمجهول مبني لما لم يُسمّى فاعله هذه صيغ تمريض و ليست بصيغ توثيق يأتي بالحديث في الصّحيحين و يقول لك يُروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال كذا يُروى؟ يُروى على الصّحيحين؟ يُروى؟ على حديث متواتر في أعلى درجات الضبط تقول يُروى؟ كأنّك تضعّف الحديث الذي في الصّحيح و أنت لا تدري لا علم و بالتالي لا عمل و لا اعتقاد لأنّه لا اعتقاد إلاّ بعلم و عليه فأمّة همج رعاع أتباع كلّ ناعق تبدّدت بددا و صارت كما ترى نثارا متفرّقا لا يجتمع و صارت كما ترى تدخل عليها البدع من أقطارها لا تجد حاجزا يحجزها و لا سدّا يصدّها لماذا؟ لغياب العلم الشّرعي بقواعده و آدابه و انتفاء آفاته و إلاّ فلن يوجد صلاح للأمّة قطّ لأنه لن تصلح هذه

الأمّة في أواخرها إلاّ بما صلح عليه أوائلها كما قال علماءنا عليهم الرّحمة و أنت تعلم أنّهم رحمة الله عليهم كانوا يحيطون هذا العلم الشّريف لأنّهم يعلمون أنه ديانة" إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " هذا القول في مقدّمة صحيح مسلم ثابت عن محمّد بن سيرين رحمة الله عليه يقول" إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " فلمّا حققتها بفضل الله تبارك و تعالى عادت إلى الصّحابة إلى أكثر من صحابيّ و تجدها في أقرب ما تقع عليه يدك في التمهيد لابن عبد البرّ و ستجدها لأبي هريرة نفسه رحمة الله عليه و رضوانه و لا يقول مثل ذلك من قبل الرّأي فأنّ هذا القول هو قول الرّسول صلى الله عليه وسلم هذا العلم دين فانظر عمن تأخذ دينك فلا تسمع لأي أحد و لا تقرأ لأي أحد و لا تلقي بنفسك إلى التهلكة و لا بذاتك إلى البوار و الهلاك و أنت تدري أو لا تدري و إنّما عليك أن تحتاط و عليك أن تتعلّم العلم الشّرعي الصّحيح و أن تتعلّم للعلم الأدب كما قالوا تعلّموا هذا العلم و تعلّموا له الأدب و لا يفلح العلم في نفس قطّ إلاّ إذا كانت نفسا قد أحكمتها قواعد الأدب و سارت بعد ذلك على قواعد الأدب الشّرعي المستقيم و إلاّ فلا يمكن بحال أبدا أن ينتفع إنسان بالعلم من غير أدب كذلك أدّب الله ربّ العالمين أصحاب الرّسول صلى الله عليه و على آله و سلم إذا أرادوا أن يناجوا الرّسول صلى الله عليه و على آله و سلم عليهم أن يقدّموا بين يدي نجواهم صدقة و نُسخ الأمر بعد ذلك لم يأخذ به إلاّ علي فقالوا هذه الآية منسوخة لم يعمل بها إلا علي و هو الذي قدّم الصّدق ثمّ دخل يناجي النبيّ صلى الله عليه وسلم لماذا يفعل ذلك؟ لأمور كثيرة منها و الله أعلم أن يجعلك على المستوى النّفسي الذي تتحمّل فيه ما يلقى إليك و أنت واع متيقّظ الحسّ، تقدّم بين يدي النّجوى صدقة فتعلو بمستواك و بحسّك إلى الدّرجة التي تجعلك على المستوى ثمّ تدخل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فتناجيه فتكلّمه و يكلّمك فتعي أنت و أنت متيقّظ الحسّ بفضل الله ربّ العالمين.

الله ربّ العالمين يؤدّب أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ [النور: ٦٣] لأنّه لابدّ للقائد من هيبة و لا بدّ للمعلّم من سلطة و إلاّ فإذا فقدت الهيبة و إذا فقدت السّلطة فلن يستفيد جندي من قائده و لن يستفيد متعلّم من معلّمه و متى أسقط التلميذ الكَلَفَةَ بينه و بين معلّمه فلن

يستفيد منه حرفا و هذا كان مشاهدا عندنا نحن من أهل هذا الزّمان في مدارسنا قديما المعلم الذي له السطوة و لو كان قليل العلم يستفيد منه تلامذته، المعلّم الذي يحترمه تلامذته و ينزلونه منزلته كانوا يستفيدون منه ولو كان قليل العلم و المعلّم الذي فاض علمه حتى ملء الأركان و لكن كما نقول نحن في لغتنا لا شخصيّة له و ليست له الهيبة في نفوس تلامذته لا نستفيد منه حرفا واحدا.

أدّب الله ربّ العالمين أصحاب نبيّه صلى الله عليه و على آله و سلم في مجالسهم:

﴿ إِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾ [المجادلة: ١١]

الله ربّ العالمين يقول إذا قيل لكم ارتفعوا في المجالس إلى المستوى اللاّئق بكم فارتفعوا و تعالَوْ تعالَوْ ارتفعوا فوق طينيّتكم ارتفعوا فوق تلك الحمأة من أجل أن تتلاحم الأرواح بعضها ببعض.

علم مصطلح الحديث و ما يتعلّق به من العلم الآخر الذي هو توأمه علم الجرح و التعديل، جعل لنا ربّنا تبارك و تعالى هذا العلم خاصّا بنا نحن، نحن المسلمين ليس لأحد على ظهر الأرض علم مثل هذا العلم يتحصّل عليه و كتبهم المقدّسة ليست أسانيدها بمتصلة بمن قالها ممن يزعمون أنّه قالها من أنبيائهم و تعجّب و أما نحن فأخبار مُجّاننا و فسّاقنا و مغنّياتنا و قياننا و قيناتنا كلّ هؤلاء أخبارهم مرويّة بالإسناد فإذا نظرت في كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصفهاني فسوف تجد أنّ الرّجل يروي بالإسناد إلى فلانة المغنّية في مجلس فلان الأمير إلى فلان المغني المخنّث الذي وقع منه كذا إلى فلان من الفسّاق إلى فلان من العشّاق يروون بالأسانيد أمثال تلك الأخبار التي ليست لها قيمة بل إنّها في بعضها مما يقام عليه الحدّ حدّ القتل حينا و حدّ الزنا أحيانا في كتاب الأغاني الكبير مرويّة بالإسناد كتب فسّاقنا و كتب مغنينا و مغنّياتنا مرويّة بالأسانيد إلى من قالها مع ما فيها من الفسق و أمّا هؤلاء فكتبهم المقدّسة ليست واصلة إلى من يدّعون أنّه قالها و الإسناد إليها مقطوع و أقرب من قال ممن ينسب إلى قائله بينه و بين النبيّ الذي يزعم أنّه قد قال ما قال سبعون عام سبعون عاما بعد أن رُفع النبيّ الذي يزعمون أنّه قال بعد أن رفع بسبعين عاما بعد أن رفعه الله إليه بسبعين عاما ولد الرّجل صاحب ما يسمّى بكتابهم المقدّس إذا كنّا كذلك و هم كذلك فلماذا نحن كذلك و هم كذلك؟ إذا كنّا

كذلك و هم كذلك فلماذا نحن كذلك و هم كذلك؟ همم ضعيفة و ميّتة نسأل الله تبارك و تعالى أن يرحمنا و إيّاكم و أن يهدينا و إيّاكم و أن يعلّمنا و إيّاكم و أن ينصر أمّتنا على القوم المجرمين و أن ينصر أمّتنا على القوم الفاسقين و أن يهيّأ لأمّتنا أمر رشد يعزّ فيه أهل الطّاعة و يذلّ فيه أهل المعصية و يقضى فيه بكتاب الله و سنّة نبيّه.